العربي تلخيص الوصفية لجدّة اللسانيات. وكانت معيارية النحاة العرب مماثلة لمعيارية النحاة الإغريق والرومان. وكانت حاجة العربية إلى منهج وصفي تماثل حاجة الأنحاء الأوروبية القديمة إليه.

نحن لا ننكر وجود عوامل مشتركة بين التراث النحوي الإغريقي والتراث النحوي العربي. ولا ننكر أن بعض ما نقد به الغربيون تراثهم ينطبق على تراثنا. من ذلك أن العرب والإغريق حدت بهم دوافع متشابهة لوضع نحو للعربية أو للإغريقية. وكان الهاجس عند الشعبين هو المحافظة على نص مؤسّس لحضارتهم يحظى بالتقديس عندهم. وقد كان موقفهم العام للأسباب الحضارية التي ذكرنا معياريا بدون منازع. وقد تجلّت معياريّتهم أيضا في الاقتصار على دراسة مستوى الاستعمال الذي يلائم هذا النص (القرآن من جهة و أشعار هوميروس من ناحية أخرى) وإهمال ما عداه من اللهجات الأخرى التي لا تعتبر فصيحة. وتجلت هذه المعيارية أيضا في عدم وصف ألسنة الشعوب الأخرى القريبة. ومن هذه العوامل المشتركة أيضا عدم تفطّن العرب والإغريق لظاهرة التطوّر وعدم دراستها وعدم تدوين المعطيات التي كانت قريبة منهم وتدخل ضمن هذا الاعتبار. إلا أننا نتساءل لماذا استثنى تمام حسان النحو الهندي نحو بانيني واعتبره وصفيا [متابعا في ذلك قول بلومفيلد [1]] والحال أن العوامل المشتركة التي رأياها تجمع بين العرب والإغريق تنسحب أيضا على نحو كتاب " الفيدا ". فالهنود أيضا وضعوا نحوهم لحماية كتاب الفيدا من اللحن واقتصروا في نشاطهم اللغوي على لسان كتابهم المقدس. ولم يفكروا في دراسة غيره فكانوا معياريّين بنفس القدر والحرص الذي كان عليه العرب أو الإغريق. وهم أيضا جهلوا حقيقة التطور ولم يدرسوها.

من البيّن أن الأصل المنهجي الذي اعتبره تمام حسان من مقوّمات جدة اللسانيات وهو مناهضة المعيارية لا يكفي لتدقيق مضمون هذه الجدة. فإن صحّ ذلك قلنا إن هذا الأصل المنهجي لا يكفي لفرط عمومه لتقييم التراث النحوي

1 انظر بلومفيلد في كتاب اللغة le langage ص 17 من الترجمة الفرنسية الفقرة رقم 6.1 من الفصل الأول.